تاريخ دخول المذهب المالكي الى ليبيا

فاطمة عبدالنبي جماعة أبوغرارة
جامعة الزيتونة – كلية الشريعة – فقه واصول
0944861094

تاريخ الاستلام:
2024/11/17م
القبول:
2024/11/25م
تاريخ النشر:
2024/12/01م

ملخص البحث

تاريخ دخول المذهب المالكي إلى ليبيا

أول ما وطئت أقدام الفاتحين العرب بعد فتح مصر الأراضي الليبية التي هي جزء من ((أفريقية)) بلاد المغرب الكبير الممتد من برقه إلى طنجة غربا، وعندما أسند الأمر إلى عقبة بن نافع سنة 50هـ ،أسس مدنية القيروان التي صارت مركزاً علميا يفدُّ إليها الطلاب من كل مدن إفريقية ومنها المدن الليبية .

بدأت الحياة الفكرية في أفريقية بتعليم القرآن والحديث والفقه والتفسير واللغة العربية، ولاشك أنّ من نشر هذه العلوم هم صحابة رسول الله ρ حيث ذكر المؤرخون أن أفريقية قد دخلها في فترة الفتح الإسلامي تسع وعشرون صحابياً من صحابة رسول الله ρ منهم :من شهد العقبة، ومنهم شهد بدراً ومنهم من شهد بيعة الرضوان، وصلى إلى القبلتين، ويذكر المؤرخون أن عقبة بن نافع عندما عاد في المرة الثانية كان معه خمسة وعشرون صحابياً ، وقال ابن عذاري: أنهم ثمانية عشر صحابياً [1]، وأن عقبة بن نافع جمع وجوه أصحابه وكبراء القادة ودار حول القيروان وهو يدعو ويقول : ((اللهم أملأها علما وفقها، واعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزاً لدينك وذلا على من كفر بك وأعزَّ بها الإسلام ، وامنعها من جبابرة الأرض))[2] ، وكذلك مرّ بالمدن الليبية صغار الصحابة وكبار التابعين من تلاميذ الصحابة، ومما لاشك فيه أن

1 ابن عذاري ،20/1
2 أبو العرب ، طبقات علماء أفريقية ،ص56، رياض النفوس للمالكي ص65 د. محمد زيتون . القيروان ودور في الحضارة الإسلامية ، ص126

الصحابة والتابعين هم أول من غرس بدور الإسلام في ليبيا ، وازداد الإسلام رسوخاً في أفريقية في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز عندما أرسل إليها بعثة تعليمية من عشرة فقهاء.

وقبل الحديث عن دخول المذهب المالكي إلى أفريقية نشير إلى أن المؤرخين يكادون يجمعون على أن بربر أفريقية أسلموا جميعهم في عهد اسماعيل بن أبي المهاجر الذي عّينه عمر بن عبدالعزيز على أفريقية في سنه 100هـ [3].

ولكن في الواقع أن جهود ابن أبى المهاجر امتداد لجهود الذين سبقوه ، من جند الفتح الذين نشروا اللغة والدين، فالفتح الإسلامي يختلف على غيره من الغزاوات السابقة ،كالاحتلال الفينيقي والروماني ((فقد بني الفتح على الثقافة في يوم الفتح نفسه)) [1] .

فعقبة بن نافع أسس القيروان سنه 50هـ وجعلها عاصمةً للدولة الإسلامية ومركزاً لـنشر الإسلام ، وكذلك حسان بن ثابت (74-85هـ) أسس مدينة تونس ، ووزع الفقهاء في سائر مدن المغرب لتعليم البربر(الإسلام والفقه)، وآخى بين البربر والعرب ، وانخرط البربر في الجيش العربي جنباً إلى جنب مع العرب المسلمين [2] .

كما أن موسى بن نصير أرسل المعلمين إلى بلاد المغرب الأقصى لتعليم البربر وحوّل الكنائس فيها إلى مساجد وجعلها منارات علمية لتعليم الناس الدين واللغة العربية وأسس مسجدي تلمسان وأغمات هيلانة ، وجعلها مراكز لتعليم العلوم الشرعية، وكان للخلق والتقوى التي تميز بها إسماعيل بن أبي المهاجر أثراً كبيراً في دخول البرير الإسلام في عهد إسماعيل بن أبى المهاجر [3] ومما

3 الرقيق : تاريخ افريقيا والمغرب ، ص97، ابن خلدون – العير. 403/4.
1 عتمان الكعالك : مراكز التفافة في المغرب،ص12.
2 ابن عذاري – البيان المغرب 38/1-انظر المالكي – الرياض 36/1
3 السلاوي : الاستقصا 136/1

جعل المؤرخين يؤكدون على أن اعتناق البربر في عهد إسماعيل بن أبى المهاجر ،هو ردّة الخوارج، ونشر الفتنة في أفريقية حيث أشارت المصادر إلى أن بربر أفريقية ارتدوّا أكثر من اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولكن الواقع أن الإسلام استقر في نفوس البربر في عهد موسى بن نصير وبعد فتحه للأندلس ، تم توطد الإسلام في عهد إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر (100هـ/ 101هـ)، أي في بداية القرن الثاني الـهجري ، وكان مذهب السلف هو السائد في أفريقية إلى أن ظهر الخوارج في المائة الثانية من الهجرة.

فالإسلام في الفتوحات الإسلامية الذي غرس بدوره الصحابة والتابعين الذين وفدوا أفريقية مع الجيش الإسلامي كان بسيطاً خالياً من التعقيد ، لكن الأحداث السياسية الفكرية في بلاد المشرق انتقلت إلى بلاد المغرب ، وساعد ذلك إلى جور العمال والظلم الاجتماعي في عهد الدولة الأموية ، حيث أساءوا السيرة وخمسوا البربر من اسلم منهم ومن لم يسلم [4]

ونتج عن ذلك ظهور المذاهب الخارجية الـمبتدعة مثل الصفرية وغيرهم' واستطاع الصفرية تأسيس إمارة خارجية في مدينة سلماجه سنه 140هـ تحت قيادة بنى واسول أوبني مدوار ، كذلك نجح أصحاب المذهب الإباضي في إعلان إمامتهم في طرابلس سنة 140هـ ،واستولوا على القيروان سنة 141هـ ،وظلّوا بها إلى أن تمكنت الدولة العباسية من القضاء على دولتهم في طرابلس . وانتقل الإباضيون إلى المغرب الأوسط واسسوا الدولة الرستمية في تاهرت واستمر فميها حكمهم حوالى مائه وثلاثين سنة إلى أن قضى عليهم أبي عبدالله الشيعي في سنه 296هـ.

ظلت هذه المذاهب يعتنقها البربر إلى أواخر المائة الثانية ، ولكن ظهور المذاهب السنية في بلاد المشرق ، ورحيل الطلاب المغاربة وعودتهم فقهاء يحملون المذاهب السنية كان له كبير الأثر في فهم البربر للإسلام الصحيح .

4 السلاوي : الاستقصا 136/1

وبعد هذه المقدمة المختصرة يتكون البحث من المباحث التالية :-

المبحث الأول : الصحابة الذين مروا بليبيا

المبحث الثاني : من دخل من التابعين ليبيا والبعثة التعليمية .

المبحث الثالث : الفقيه عبدالرحمن بن أنعم البرقاوى.

المبحث الرابع : مالك بن أنس.

المبحث الخامس : أهم مصادر الفقه المالكي.

المبحث السادس: تاريخ دخول المذهب المالكي إلى ليبيا، و العلماء الذين ساهموا في نشر المذهب المالكي.

المبحث السابع:- دور علماء المالكية في ازدهار الحياة العلمية في ليبيا من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري .

المبحث الثامن : العلماء الذين مروا بليبيا وأثرهم في ترسيخ المذهب المالكي .

الخاتمة.

المصادر والمراجع .

المبحث الأول :- أسماء الصحابة رضي الله عنهم الذين مروا بليبيا:

لاشك أن هؤلاء الصحابة قد مروا بليبيا وكان لهم أثر في إرساء عقيدة الإسلام ، ويتشرف المبحث بذكر هؤلاء الصحابة وهم:

أبو سعيد المقداد بن عمر البهراني القضاعى، وأبو اليسر كعب بن عمر الأنصاري ، وعبد الله بن أنيس الجهني حليف الأنصاري ،و أبو عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وأبو ذر الغفاري وأبو عبد الله عمرو بن عوف المزني، وسلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، وأبو زمعة عبيد بن أرقم البلوي، وأبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، وأبو عبد الرحمن جرهد بن خويلد الأسلمي، وأبو محمد فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي، وأبو العباس عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ،وأبو بكر عبدالله بن الزبير بن العوام ،وعبدالله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي ،وعقبة بن عامر الجهني ، و رويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن النجار الأنصاري وحمزة بن عمرو الأسلمي وأبو عبدالله عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، وأبو عبدالرحمن بلال بن الحارث المزنى ، وأبو عبدالرحمن المسور بن مخزمة بن نوفل القرشي تازهري، وجبلة بن عمرو الانصاري الساعدي وأبو يحي عبدالله بن أبي سرح القرشي العامري ومعاوية بن حديج ،والمطلب بن أبي وداعة السهمي، و ربيعة بن عباد الدؤلي ،و زياد بن حارث الصدائي ،وأبو اليمن سفيان بن وهب الخولاني ، و أبيض بن حمّال السبائي المأربي و أبو اليقضان و أبوعبد الرحمن يسر بن ارطأة العامري.

وقد ذكر الدباغ بعد ذلك اثنى عشر صحابيا نزلوا أفريقية ويصفهم بأنهم من صغار الصحابة وهم: عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث القرشي، وأبو عمر عاصم بن عمر بن الخطاب ،وعقبة بن نافع بن عبد القيس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، وعبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ،وعبد الرحمن بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، ومعبد بن العباس ابن عبدالمطلب، وعبدالرحمن بن صبيحة الليثي، ومروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي ،وأبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى الشاعر، وأبو منصور الفارسي مولى سعد بن أبي وقاص وكان فقيها قارئا للقرآن ومفتيا متفننا في العلم سكن القيروان إلى أن مات بها وأبو سعيد كيسان المقبري، ولى بني ليث وسكن القيروان أيضا، وروى عنه أهلها وأدخله ابن وهب في موطئه.

المبحث الثاني :- من دخل من التابعين ليبيا والبعثة التعليمية:

وممن تولى غرس بذور الحياة الفكرية عدا كبار الصحابة وصغارهم التابعون للصحابة ومنهم: أبوعبدالله محمد بن أوس الأنصاري الذى اشتهر بالفقه والصلاح مع إحاطته بالرواية والدراية وحنش، بن عبد الله الصنعاني الذي سكن القيروان واختط بها داراً ومسجداً ،وروي عن عدد من الصحابة منهم: على بن ابي طالب وابن عباس ، وروى عنه عبدالرحمن بن أنعم وقيس بن

الحجاج، ومنهم على بن رباح اللخمي محدث قدم إفريقية مجاهدا في سبيل الله وكان عند أهل أفريقية من حديثه ما ليس عند المصريين ،وقد سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا ،وتفقه أهل القيروان على يديه ، وكان حسن الموعظة، روى عن عمرو بن العاص وابنه عبد الله وعائشة أم المؤمنين، وروى له مسلم في صحيحه وروى عنه ابنه موسى والحارث بن يزيد.

وأبو أيوب سليمان بن يسار محدث المدينة وفقيهها الكبير يقال له الإفريقي والمدني، قدم افريقية غازيا وأقام، بها وكانت له بها آثار مشهورة ومقامات مذكورة، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها حتى توفى سنة 94ه ،روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه ابن شهاب وهو أحد الفقهاء السبعة.

وأبو عبدالله عكرمة مولى عبدالله بن عباس ،وقد قيل أن أصله من بربر إفريقية ، كان كثير الرواية عن مولاه وعليه معتمدة ، روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة، وروى عنه خلق كثير' وادخله مالك في موطئه ،وقد وّثقه بعضهم وضّعفه آخرون ولكنهم اتفّقوا جميعا على حفظه ومعرفته بالعلم وتفسير القرآن الكريم 'وقد دخل إفريقية وأقام بالقيروان حيث كان يجلس في مؤخر المسجد غربي المنارة ليعلّم سكان القيروان فبثّ فيها علما كثيرا 'وخاصة تفسير القرآن الكريم الذي تلقاه عن مولاه عبدالله بن عباس.

الفقهاء العشرة أعضاء البعثة التعليمية إلى القيروان وهم:

1- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي توفي بها سنة 132ه.
2- إسماعيل بن عبيد الأنصاري توفي وهو معانق للمصحف سنة 107ه.
3- عبد الله بن يزيد المعافري المعروف بالحبلي توفي بالقيروان سنة 100 ه .
4- أبو مسعود سعيد بن سعد التجيبي الكندي توفي بالقيروان.
5- عبدالرحمن بن رافع التنوخي توفي بالقيروان سنة 113ه.
6- موهب بن حى المعافري سكن القيروان إلى أن توفي فيها.
7- حِبّان بن أبي جبلة القرشي مولى بنى عبد الدار توفي بالقيروان سنة 125ه.
8- طلق بن جابان الفارسي لم يذكر تاريخ وفاته
9- بكر بن سوادة الجذامي توفي سنة 128ه.
10- أبو سعيد جعثل بن هامان بن عمير الرعيني 115ه.

المبحث الثالث :- الفقيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى القاضي:

ولد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ببرقة والجند داخلون إلى أفريقية سنة 24ه‘ ونشأ في عهد خفت فيه حدة الاضطرابات ،تلقى العلم عن البعثة العلمية التى أرسلها الخليفة عمر بن عبدالعزيز الى بلاد المغرب والتي استقرت بالقيروان وعن غيرهم من التابعيين ،كما يروى عن أبيه زياد بن أنعم عن أبي أيوب الأنصاري واعتبر من علماء الحديث المتقدمين الموصوفين بالزهد والورع1.

سمع منه من المشارقة عبد الله بن وهب، وسفيان الثوري، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن المبارك2 ،كما أخذ عنه كبار أصحاب أبي حنيفة، وروى عنه من أهل القيروان عبد الله بن غانم القاضي والبهلول بن راشد ، وعبد الله بن أبي حسان، ومعاوية الصمادحى3.

وعند وجوده في مكة كانت له حلقة من الطلبة وزاره في حلقته سفيان الثوري فقال عنه: روى ستة أحاديث مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم لم أسمع أحداً من اهل العلم يروونها4.

قال أبو عمر بن عبد البر: أهل مصر وأفريقية والمغرب العربي يثنون عليه بالفضل والدين والعقل وهم أعلم به من سواهم"5

تولى قضاء القيروان في عهد بنى أمية وظل فيه إلى زوالهم، وكان لا يقبل من أحد صلة ولاهدية ويقول:"إذا رأيت الهدية دخلت دار القاضي من باب الدار فاعلم أن الأمانة قد خرجت من كوة الدار"6

1 المالكي ،رياض النفوس ص.96
2 أبو العرب في الطبقات ص.96
3 الدباغ معالم ص.230
4 المالكي رياض النفوس ص.96
5 الدباغ معالم 1/.235
6 الدباغ معالم 1/234.

المبحث الرابع: -مالك ابن أنس.

التعريف بالإمام مالك:

هو الإمام مالك بن أنس بن عمر الحارث الحميري المدني 1 ولد سنة 93هـ / 711م بالقرب من المدنية المنورة، جده أبو مالك أبي عامر الأصبحي من الصحابة العظماء، شهد مع الرسول الأعظم معظم الغزوات. نشأ الإمام مالك في بيئة علمية حفظ القران الكريم في سن العاشرة وتعلم اللغة العربية والحديث.

شيوخه:-

1. نافع مولى عبدالله بن عمر (ت117هـ) أخذ عنه الحديث .
2. الزهري : محمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ).
3. ربيعه الرأي : ربيعه بن فرّوخ المدني ت136هـ /753ت أخذ مالك عنه الفقه ، وسمي بالرأي لرجاحة عقله ، وقد روى عنه في الموطأ اثني عشر حديثاً [2] .
4. ابن هرمز : هو أبوبكر بن عبدالله بن يزيد المتوفي سنه 148هـ قيل أن مالك لازمه سبع سنيين، وقيل ثلاثين سنة [3] .

ومن شيوخه أيضاً: أبو الزناد عبدالرحمن بن القاسم ، وأيوب السجتانى ، ويحي بن سعيد الأنصاري وغيرهم كثير[4] .

تلاميذه :- أخذ عن الإمام مالك ما يزيد عن ألف وثلاثمائة تلميذ كما ذكر القاضي عياض في المدارك من هؤلاء التلاميذ.

1. يحي بن سعيد الأنصاري ، قاضي المدنية ت 148هـ / 765.
2. محمد بن إدريس الشافعي ت 204هـ.
3. سفيان بن سعيد الثوري ت161هـ.

---

1 ابن فرحون المالكي ، الديباج 56/1

2 الليثي ، بن يحي موطأ الامام مالك ، ص84.

3 المصدر السابق ، ص 86.

4 القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ص180.

4. عبدالعزيز بن الماجشون التميمي ت 166هـ.
5. عبدالرحمن بن القاسم العتقي ت 191هـ.
6. المغيرة بن عبدالرحمن ت 186هـ، وغيرهم

سيرته :- الإمام مالك هو إمام أهل الفقه والجماعة جمع بين الفقه والحديث ،اكسبه صفاء الذهن وقوة الذاكرة وحسن الخلق وتعظيم الشرع وحبه الكبير للرسول الأعظم ρ احتراماً وتقديراً عند العلماء وعامة الناس قال، عنه الذهبي : ((وقد اتفق في مالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره الذهن التاقب وسعة العلم " واتفق العلماء على أنه حجة .....)) [1] .

من مؤلفاته كتاب الموطأ الذى استغرق، الإمام في تأليفيه أربعين سنة ، ذكر فيه الأحاديث الصحيحة التي بلغت (172) حديثاً بالإضافة.

وسمى بالموطأ لسهولته وفهمه قال عنه الشافعي τ أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ الإمام مالك وقد التزم مالك في جمعه للأحاديث الدقة والتحري في جمع الأحاديث الصحيحة، واعتمد الإمام مالك في جمعه على الكتاب والسنة والإجماع والقياس مما جعل فحول العلماء يتناولونه بالدراسة والشرح والتحليل عبر العصور.

المبحث الخامس:- أهم مصادر الفقه المالكي.

1- الأسدية:- وهي أول ما ألف في الفقه المالكي وتنسب إلى أسد بن الفرات تلميذ الإمام مالك فقد سافر أسد إلى المدينة وأخذ العلم عن مالك ، ثم قصد العراق وأخذ عن محمد بن الحسين صاحب أبي حنيفة ، وعزم الرجوع إلى المدينة ولكن بلغه وفاه مالك ، فقصد مصر والتقى بكبار تلاميذ مالك كابن وهب ، وأشهب ، وابن القاسم ، وكان قد حمل معه المسائل التي حوتها كتب محمد بن الحسن وأغلبها مسائل فرضية ، وسأل ابن وهب وأشهب الإجابة عنها على مذهب مالك فتورع ابن وهب وأشهب عن الإجابة ، فذهب إلى ابن القاسم وأجابه عن ذلك وكانت إجابه ابن القاسم على أربعه أقسام :-

القسم الأول :- ما علم فيه رواية عن الإمام مالك وتأكد منها ، فيذكر روايته .

القسم الثاني:- إذا ترجحت فيه الرواية عنده يجيب عنه أخال وأظن أو حسب .

---

1 الذهبي ، سير أعلام النبلاء ص72-82.

القسم الثالث :- إذا لم يحفظ فيه رواية عن مالك لا باليقين ولا بالرجحان ، وكان يحفظ له مثيلاً ، فيحكم فيه بمثل ماحكم مالك في المثل .

القسم الرابع :- ما لا يحفظ عن مالك رواية ، لم ير مثله ، فيجتهد فيه على الأصول المالكية[1] .
بلغت هذه الأجوبة حوالى ستين كتابًا حوت ستة وثلاثين ألف مسألة تكونت منها الأسدية التي كتبها أسد عن ابن القاسم ، سافر بها أسد إلى القيروان وترك منها نسخة بمصر وتلقاها عن أسد الإمام سحنون . ولكن بعض أهالي أفريقية أنكروا على أسد عبارات خال وظن واعتقدوا أنها مثاراً للشك .
وقالوا له جئتنا بخال وظن وتركت السنن والآثار ودافع أسد عن كتبه بذكاء فقال لهم :
((أما علمتم أن قول السلف هو رأي لهم وأثر لمن بعدهم ، ولقد كنت أسال ابن القاسم عن مسألة فيجيبني فيها ، فأقول له : هو قول مالك ؟ فيقول أخال، وأرى وكان يكره أن يهجم على الجواب 2
2- المدونة: قام سحنون بتنقيح المدونة بعد أن وجد فيها خلافاً بين مدونة أسد بن الفرات ومدونة الحسن بن زياد التونسي الذي سمع من أصحاب أبي حنيفة ومن ابن القاسم، فارتحل سحنون إلى ابن القاسم، وسمعها منه، وأسقط ما كان يشك فيه من قول مالك، ولم يجد فيه نصاً لمالك، وصارت المدونة الأصل الثاني للمذهب رغم فضل ابن القاسم في المدونة ولكن لا يمكن نسبتها إليه؛ لأن سحنون رواها عنه كما رواها عن أسد بن فرات3.
فسحنون لم يقتصر على السماع من ابن القاسم بل ناقشه مناقشة العالم المتمكن فرجع ابن القاسم عن كثير من أقواله، والإمام سحنون قام بتهذيب المدونة ومراجعتها وترتيبها، وذكر الخلاف بين أصحاب مالك ذيلّ أبوابها بالأحاديث والآثار .

---

1 . القاضي عياض ، المدارك 470/1

2 ينظر القاضى عياض 9/1 46 ، والأثر السياسي والحضاري للمالكية في سمال أفريقية ، ص 395.

وبالتالي فإن المدونة جمعت أراء الإمام مالك المروية عنه، والمخرجة على أصوله، وبعض أراء الصحابة والأحاديث والآثار الواردة في مسائل الفقه واختلفت مدونة سحنون عن الأسدية، وأقبل الناس على مدونة سحنون وصارت الأصل الثاني للمذهب بعد الموطأ.

المبحث السادس: - تاريخ دخول المذهب المالكي ليبيا والعلماء الذين ساهموا في نشر المذهب المالكي

عند الحديث عن دخول المذهب المالكي إلى ليبيا، نشير إلى أن المذاهب الخارجية في أفريقية إضمحلت في أواخر المائة الثانية وما بعدها، كما أن المذاهب الفقهية السنية في المشرق بدأت في العلو والانتشار، فحمل طلاب العلم من المغاربة أرآء فقهاء المشارقة وعادوا بها إلى بلاء أفريقية مما كان له الأثر الأكبر في تفهم السكان للإسلام الحقيقي فاعتنقوه.

فالطلاب المغاربة لهم الفضل في نشر المذاهب الفقهية الصحيحة، ومن البديهي أن كل طالب مغربي في عودته إلى بلاده حمل ما يناسبه وما يتفق في ميوله من هذه المذاهب، ومن المعلوم أن المذهب الحنفي من أقدم المذهب دخولاً إلى بلاد المغرب.

يقول المقدسي عن ذلك برواية نسبها إلى بعض المغاربة ((قالوا لما قدم وهب بن وهب من عند مالك – رحمه الله حاز من الفقه والعلوم ما حاز، فاستنكف أسد بن عبدالله أن يدرس عليه لجلالته ، وكبر نفسه فرحل إلى المدينة ليدرس على يد مالك ، فوجده عليلاً قلما طال مقامه عنده قال له : ارجع إلى ابن وهب فقد اودعته علمي ، وكفيتكم به الرحلة فصعب ذلك على أسد وسأل القوم هل يعرف لمالك نظير؟ فقالوا فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قالوا : فرحل إليه وأقبل عليه محمد إقبالاً لم يقبله على أحد، ورأى فيه فهماً وحرصاً ، فزّقه الفقه زقاً ،فلمّا علم أنه قد استقل وبلغ مراده سيّبه إلى المغرب، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان ورأوا فروعاً حيَّرتهم ودقائق أعجبتهم ومسائل ما طنتّ على أذن ابن وهب وتخرج به الخلق، فنشأ مذهب أبي حنيفة – رحمه الله – بالمغرب)).

لكن رواية المقدسي غير دقيقة فقد ذكر المقريزي أن افريقية كان الغالب عليها السنن والآثار إلى أن قدم عبدالله بن فرّوخ الفارسي بمذهب أبي حنيفة، ثم غلب عليها لما ولي قضاءها أسد بن الفرات بن سنان[1].

ويؤكد هذا قول صاحب الاستقصا ((لما طهَّر الخلفاء من بني العباس المغرب من هذه النزعة الشيطانية (الخوارج) أخذ أهله بعدها بمذهب أهل العراق في الأصول والفروع، لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم إمامهم))[2].

وعن كيفية دخول المذهب المالكي أرض المغرب وعن أشهر رجال هذا الدور، يحدثنا القاضي عياض فيقول: ((وأما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم (*) مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد وابن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك بن أنس فأخذ به كثير من الناس، ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه))[1]

---

1 المقريزي – الخطط – جـ2 – ص 333- نظرة تاريخية لحدوث المذاهب – ص53-54.

2 السلاوي – الاستقصا جـ 1ص137.

(*) لعل القاضي يقصد بالقديم – القدم النسبي – أي قبل دخول مذهب مالك إلى إفريقيا فقد عرفت مذهب السلف كما عرفت الخوارج قبل دخول مذهب ابى حنيفة اليها يؤيد ذلك قول المقريزي ((وكانت افريقيا الغالب عليها السنن والأثار الى أن قدم عبدالله بن فروخ أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة)) (الخطط جـ 2 ص 333)

1 عياض – المدارك – مجلد 3ص 45.

فإلى علي بن زياد التونسي المتوفى سنة 183هـ ورفاقه الذين ذكرهم القاضي عياض في المدارك يرجع الفضل في دخول هذا المذهب إلى إفريقية والمغرب، لكن بعض المؤرخين المحدثين يذكر أن أول من نشر المذهب المالكي في إفريقية هو أسد بن الفرات [2]

لكن تمسك المغاربة بالمذهب المالكي وترك المذهب الحنفي ليس كما ذكر ابن خلكان في ترجمة المعز بن باريس الصنهاجي المتوفى في أواسط المائة الخامسة للهجرة ما نصه: ((كان مذهب أبي حنيفة -τ - بإفريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك - τ - وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن)) [3]

ويذكر ابن خلدون الأسباب التي دعت أهل المغرب إلى التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس فيقول : ((وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، وإن كان يوجد في غيرهم ، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل ، لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ، ومنها خرج إلى العراق ، ولم تكن العراق في طريقته فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة ، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده ، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته، وأيضاً فالبداوة كانت غالبة؛ على أهل المغرب والأندلس ، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضّا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما في غيره من المذاهب))[4].

لكن ربما تمسك المغاربة (من برقة إلي طنجة) بالمذهب المالكي ليس كما ذكر ابن خلكان؛ لأن المغاربة انتشر المذهب المالكي بينهم قبل المعز بن باديس بفترة طويلة جداً، ربما يكون قبول أهل المغرب من برقة إلى طنجة للمذهب المالكي للأسباب التالية: -

2 د/ الحبيب الجنجاني – القيروان – ص155

3 ابن خلّكان – وفيات الأعيان – جـ 5 ص 234 ، ابن العماد الحنبلي – شذرات الذهب – جـ 3 ص294، السلاوي – الاستقصا – جـ 1 ص 137-138.

4 ابن خلدون – المقدمة – ص383.

1. الفوضى والأثر السّيء التي تركها أصحاب الفرق المبتدعة من الروافض والخوارج في نفوس الناس مما جعلهم يتمسكون بالمذهب المالكي المبني على الكتاب والسنة ، والذى يرفض التجريح والتأويل التي لجأت إليه المذاهب الخارجية [1] .
2. القدوة الحسنة التي تمسك بها الفقهاء أمثال البهلول بن راشد وسحنون بن سعيد وغيرهم كان لها أثر اكبيراً لقبول الناس للمذهب المالكي.

أسباب ترجيح مذهب الإمام مالك عند القاضي عياض:

أولهما: الأثر المشهور والصحيح المروي في ذلك عن رسول الله عليه السلام من حديث الثقات، منهم سفيان بن عيينة عن أبي جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ρ قال:((يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم)) وفي رواية يلتمسون فلا يجدون عالماً أعلم ، وفي رواية من عالم المدينة [2] . قال سفيان بن عيينة من غير طريق واحد – ويوافقه القاضي عياض في ذلك – نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس [3] .

ثانيهما: من طريق النقل والمعتمد فيه مجرد تقليد السلف وأئمة المسلمين وعلمائهم في المسألة وبالاعتراف لمالك رحمه الله – بأنه عالم وقته وإمام زمانه وأعلم الناس وأعلم علماء المدينة ما قال عنه الشافعي مالك استاذي، وعنه أخذنا العلم ، وما أحد أمنُّ علي من مالك ، وجعلت مالكاً حجة بيني وبين الله تعالى، ومثل قول أبي يوسف ما رأيت أعلم من ثلاثة ،ذكر أنه ُسئل عن مالك وأبي حنيفة فقال : مالك أعلم من أستاذي أبي حنيفة [4].

يمكن أن نلخص عوامل انتشار المذهب المالكي في ليبيا والشمال الأفريقي في التالي:

1- الرحلات العلمية للمغاربة ومنهم الطلبة الليبيين إلى مكة والمدينة مركز الدعوة قال ابن خلدون :"ما اقتصر على الأخذ من علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك"
وغالباً ما اقترنت الرحلات العلمية بأداء فريضة الحج ونجم عن الرحلات العلمية

---

1 ابو العرب : الطبقات (المقدمة) ص13
2 عياض – المدارك – مجلد 1-ص82.
3 المرجع السابق ص83
4 المرجع السابق ص83.

تكوين المدرسة الفقهية المالكية وكان الإمام يعامل الطلبة الوافدين معاملة خاصة من الاهتمام والترحيب بهم، وانعكس ذلك على سلوك الطلبة فعندما عادوا إلى بلادهم احتلوا مكانة رفيعة لسيرتهم الحسنة وقدوتهم بالإمام، واجتهادهم في التأليف ونشر المذهب، ويرجع الفضل للإمام مالك الذي نقل عنه قائلا: "اتقو الله في هذا العلم ولاتنزلوا به دار مضيعة ولاتكتموه"[1]

2- رحلة الحج: لعبت الرحلة إلى الحج دورا كبيراً في نشر المذهب المالكي في ليبيا وبلاد المغرب، فالحجاج ينزلون بالمدينة مقر الإمام مالك يتلقون على يديه الحديث والفقه وفي عودتهم إلى بلادهم يقومون بنشر هذا العلم، وخاصة أن الإمام عمّر طويلا زهاء 90 عاماً. وتتلمذ عليه الكثير، وقد أحصى الذهبي له مايزيد عن ألف وأربع مائة طالب.

3- يمكن القول أن المذهب المالكي مذهب عملي أكثر من أنه نظري، ينظر إلى أعراف الناس وعاداتهم، وسكان بلاد المغرب عرفوا بالبساطة والبداوة، ولهذا تمسكوا بالمذهب المالكي، ورفضوا المذاهب الأخرى كالخوارج والشيعة القائمة على التجريح والتأويل والتكفير.

دور علماء ليبيا في نشر المذهب المالكي

أول من غرس بدور الدين الإسلامي في إفريقية هم الصحابة والتابعون، وعلى يد هؤلاء تخرجت حلقة من علماء إفريقية أمثال: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أول مولود في الإسلام بعد فتح إفريقية، روى العلم والحديث عن جماعة من التابعين أمثال: إسماعيل بن عبيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي.

وليبيا وطرابلس خاصة كانت مثلها مثل بقية المدن المغربية مرتبطة بالقيروان العاصمة في ذلك الوقت ،التي وفد لها الطلبة للدراسة والتعلم ،مثل غيرهم إلي بلاد الحجاز لتلقي العلم من إمام دار الهجرة في ذلك الوقت ،وكان يطلق عليهم الطلاب المغاربة ،ولهذا لم نجد المصادر الكافية لتبين لنا الصورة المطلوبة عن دور علماء ليبيا في نشر المذهب المالكي، ولكن أسعفتنا بعض المصادر ببعض العلماء، وقبل الحديث عن علماء المذهب ،تشير إلى أن ليبيا في مختلف أطرافها انتشرت بها المراكز العلمية حيث ورد في المصادر :"وقد حاول سحنون من خلال رحلته أن يستقصي مذهب مالك في كل البلاد التي زارها، ومن كل العلماء الذين التقى بهم ،وأن يجمع كل المسائل التي أخذت عنه ،وقد عبّر سحنون عن تتبعه لكل أقوال مالك ، يقول لتلميذه سلمان بن سالم لما أراد

1 القاضي عياض ،المدارك ص15.

الخروج للحج :" إنك تقدم طرابلس وقد كان فيها رجال مدنيون ومصريون ثم تقدم مصر وبها الرواة"[2]

ومما يدل على أن مدينة طرابلس من المراكز العلمية وبها طائفة من العلماء حيث تشير المصادر إلى أن العالم أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني، المعروف (ابن الحداد) المولود سنة 219ه، تعلم في إفريقية بالقيروان وتونس وطرابلس[1] وفلم يرحل إلى المشرق بل تلقى العلم على سحنون بالقيروان وأبي سنان زيد بن سنان وأبي الحسن الكوفي بطرابلس[2].

ولا شك أن العلماء الذين مروا بالبلاد الليبية توقفوا فيها وسمع منهم الناس فهذا سحنون يقول: أنه توقف بإجدابيه[3] وسمع أهلها منه المدونة عند عودته من ابن القاسم بمصر، ثم استقر بطرابلس فترة وأسمع أهلها أيضا المدونة وكان يفتخر ببعض تلاميذه في ليبيا.

ومن العلماء الذين أسهموا في نشر المذهب المالكي

1- علي بن زياد الطرابلسي هو الفقيه بن زياد العبسي الطرابلسي، ولد بطرابلس ورحل إلى الحجاز سمع من مالك والثوري، والليث بن سعد، وعنه أخذ البهلول بن راشد، والإمام سحنون وأسد بن الفرات، وكان أسد يقول عنه: "أول من تعلمت العلم عنه"[4] تتفق المصادر جلها على أن علي بن زياد الطرابلسي له الريادة في إدخال المذهب المالكي لإفريقية، إذ ذكر المالكي القاضي عياض أن ابن زياد :" هو أول من أدخل المغرب جامع سفيان الثوري وموطأ مالك وفسّر لهم قول مالك لم يكن يعرفونه"[5]

2 المالكي ،رياض النفوس ،ص255،انظر القيروان وأثرها في الحضارة ،ص256.
1 ابن عاشور ،أعلام الفكر الاسلامي ،ص42،الدباغ معالم 2/.215
2 أبو العرب ،طبقات،ص.202
3 المدارك 47/4.
4 تراجم أغلبيه،ص.24
5 المالكي، رياض ،234/1.

وبالتالي يمكن تصحيح قول المستشرق (ألفرد) الذي يقول أن المذهب المالكي دخل بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري[6].

إذ أن علي بن زياد من علماء القرن الثاني الهجري فهو أول من أدخل المذهب المالكي سنة 150 ه، إلى إفريقية، وانتشر من بعده على يد علماء المالكية ، والرغم من الدور الريادي لابن زياد لكن هناك معاصرين له لهم الفضل في نشر المذهب المالكي منهم ابن فروخ، وابن غانم اللذان جمعا بين المذهبين المالكي والحنفي، لقيا مالك وسمعا منه، والبهلول بن راشد وأسد بن الفرات الذي انتهى به المطاف إلى المذهب الحنفي، ولكن ابن زياد يعتبر من الطبقة الأولى من علماء المالكية في إفريقية قيل عنه:" ثقة مأمونا فقيها خيرا متعبدا بارعا في الفقه ، سمع من مالك وغيره ،ولم يكن في عصره بإفريقية مثله سمع منه سحنون وأسد بن الفرات"[1]

وهو أول من ألف في الفقه المالكي في إفريقية حيث ألفّ كتابا في البيع سماه:" خير من زنته "[2]

وقد وجدت قطعة من موطئه تبدأ بكتاب الضحايا إلى آخر كتاب الذبائح وقد قام بتحقيقها الشيخ محمد الشاذلي، ويظهر أنها أقدم رواية للموطأ.

تلاميذه: لم نتمكن من التعرف إلاّ على القليل من تلاميذه عددهم ثمانية فقط وهم: البهلول بن راشد، وشجرة بن عيسى، وإسماعيل بن نافع، واسحاق بن جلوان، وعلى بن كثير، وخالد بن يزيد الفارسي، وخاصة أسد بن الفرات، وسحنون المتميزان بإخلاصهما لشيخهما ابن زياد وبتأثرهما به، لعرف رحمه الله بالزهد والتقوى ورفض تولى القضاء واستقر به المقام في تونس.

يقول عنه الشيخ الشاذلي النيفر" يرجع الفضل كله في تأسيس المدرسة التونسية وغيرها من المدارس بأفريقية، سواء بالقيروان أو بقية أمهات المدن الأخرى إلى علي بن زياد ...وهذه المدرسة التى وضع لبنتها علي بن زياد وهي مدرسة مالك بن أنس"[3] توفي سنة 183ه بتونس

---

6 بل،أ، الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي ،ترجمة عبدالرحمن ..،ص.114

1 أبو العرب، الطبقات ،ص.220

2 القاضي عياض، ترتيب المدارك 893.

3 مقدمة موطأ بن زياد للشاذلي .ص36.

2- سحنون بن سعيد، أبو سعيد بن عبدالسلام بن سعيد: ولد في القيروان سنة 160 ه وأصله من حمص قدم أبوه في جند حمص في القرن الثاني، وقد نشأ بالقيروان، وأخذ العلم من مشائخها فأخذ عن العباس بن أشرس، والبهلول بن راشد، وابن غانم، وذهب إلى علي بن زياد بمدينة تونس وتلقى عليه الموطأ للإمام مالك، كما أخذ الأسدية عن أسد بن الفرات بعد عودته إلى المشرق[4]. ورحل الى المشرق لطلب العلم سنة 188 ه وسمع ورحل إلى الحجاز وسمح من علمائها.

وعند عودته في سنة 191ه مكث فترة في إجدابية فسمع منه أهل أجدابية ، فكان يمشي بالنهار يلقي المسائل فإذا جاء الليل قام للصلاة "[5] ، وقد حاول سحنون خلال رحلته أن يستقصي مذهب الإمام مالك في كل البلاد التي زارها منها المدن الليبية ،ويظهر ذلك من قوله لتلميذه سليمان ابن سالم لما أراد الخروج الى الحج :"أنك تقدم طرابلس وقد كان فيها رجال مدنيون ومصريون..." [1]

"واشتهر بالورع والتقوي توفي سنة240ه بالقيروان.

3- محمد بن معاوية الحضرمى :من أصحاب مالك سمع منه الموطأ ،وكان له سن وإدراك وسمع من الليث بن سعد ،وابن لهيعة وغيرهم ،وسمع من أبي معمر صاحب أنس بن مالك ،وسمع منه بكر بن حمادة ،وفرات بن محمد ، قال أبو علي ابن البصرى هو أعلم من محمد بن ربيعة الحضرمى الطرابلسي" .

قال المالكي: ومن بعض من أسنده من الحديث عن العبدي عن محمد بن معاوية عن أبي معمر عباد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ،وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ،ما أغنى عنكم إلا بورع صادق"[2]

قال أبو العرب:" قال محمد بن معاوية :" كان بقي عليّه شيء من الموطأ من كتاب الصلاة فأتيت إلى مالك، وقد دخل الناس ،فقال : من يقرأ لك؟ قلت: حبيب، وكنت قاطعته[3] بخمسة دراهم ويقرأ

---

4 المالكي رياض ،250 ،انظر القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ،ص.357

5 محمد ،مراجع اغليبه،ص.88

1 المالكي، رياض ،ص.255

2 القاضي عياض ،ترتيب المدارك /323/3.

3 رياض النفوس 290/1،أعلام ليبيا ،الطاهر الزواوي ،ص370.

من الكتاب خمسا وعشرون ورقة، فقرأها لي حبيب في مجلس واحد ،وقال لم تفتني دراهمك يامغربي.

رجع إلى طرابلس ،وحدّث بها وسمع منه حبيب الطرابلسي ،ويجهل تاريخ وفاته.

4- إبراهيم بن أحمد عبد الله اللواتي الإجدابي الطرابلسي: ولد بطرابلس من قبيلة لواته التي كانت تسكن إجدابية جمع في العلوم بين الفقه واللغة وعلم الكلام، ولم يرحل خارج طرابلس لتلقي العلم، وسئل: أنى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال: اكتسبته من بابي هوارة وزناته، يريد أنه استفاد علمه ممن يفد على طرابلس من المغرب والمشرق من أهل العلم وكانت له عناية بلقاء الوفود وركبان الحجاج وإكرامهم ليأخذ عنهم مايحملونه من علمهم[4].
ومن مؤلفاته:" بغية المتحفظ في اللغة، وله كتابان في العروض وكتاب الرد على أبي حفص في تثقيف اللسان، ورغم أن مؤلفاته التي ذكرت في اللغة ـ ولكن، لا شك أنه نحان فقيها، ـ ولم يعثر على تاريخ ولادته ووفاته ولكن يعتقد أنه من علماء القرن الرابع أو الخامس الهجري.

5- محمد بن ربيعة الحضرمى، روى عن مالك، وابن لهيعة، وأبي معمر ـ وابن أبي حزم، وإبراهيم بن أبي يحي، قال عنه القاضي عياض في ترجمته محمد بن معاوية، وقال عنه: "هو أعلم من محمد بن ربيعة الحضرمى الطرابلسي"[1] والذي يؤكد عودته إلى طرابلس بعد أخذه عن مالك، أن بقى ابن مخلد أخذ عنه في طرابلس، كما ذكر ابن الحارث"[2]

وعلماء الفقه المالكي بعد القرن الثاني والثالث الهجري كثيرون وإن كانت المصادر لم تسعفنا بذلك منها على سبيل المثال لا الحصر.

1- إبراهيم بن حماد بن عبد الملك، ينسب إلى زياد بن حبش من برقه وهو يروى عن أبي يونس البرقي، وإبراهيم بن أبي الفياض البرقي، حدث عن ابن وهب، وعن أشهب بن عبد العزيز مات في مصر سنة 245ه.

2- إبراهيم بن محمد الغافقي الأطرابلسي قاضي طرابلس توفى بالمغرب 253ه / روى عنه ابن يونس.

---

4 أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي ،ص.18

1 القاضي عياض ،المدارك ،3/.323

2 محمد بن حارث ،أخبار الفقهاء والمحدثين ص177.

3- إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي ،روى عن أبي جعفر العروبي ،روى عنه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، وأخذ عنه القاضي يونس بن عبدالله[3].

4- إبراهيم بن أحمد بن جعفر بن هارون الأزدي البرقي سافر الأندلس وروى عنه أبو اسحاق بن شنطير سنة 391ه[4].

5- عبدالكريم بن أبي موسى البرقي ت230ه.

6- عبدالجبار بن خالد السرتى ت281ه، مذكور في أغلب كتب طبقات المالكية (كان من عقلاء إفريقية سمع من سحنون وعليه اعتماده[5].

7- حبيب بن محمد الأطرابلسي قال ياقوت: حبيب هذا رجل صالح، سمع جماعة من أهل بلده منهم محمد بن معاد الحضرمى الأطرابلسي[1] ،هذا يؤكد رجوع محمد بن معاوية إلى طرابلس بعد أخذه عن مالك بالمدينة ،روى عنه أبو مسلم العجلي ووثقه.

8- ابن حبيب القطان[2] :هو موسى بن عبدالرحمن بن حبيب المعروف بالقطان قاضي طرابلس ولد سنة 232 ه، قال الإمام ابن فرحون في الديباج :"سمع من محمد بن سحنون ومحمد بن عامر الأندلسي وغيرهما ،وكان ثقة فقيهاً حافظاً، وألف أبو الأسود موسى أحكام القرآن في اثنى عشر جزءا توفي سنة 306ه ، روى عنه محمد بن مره.

9- علي بن محمد المنتصر بن المنمر الطرابلسي الملقب أبو الحسن ولد بطرابلس سنة 348ه مشهور بالعلم والفقه والفرائض والحديث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،سافر إلى مكة وأخذ عن أحمد بن زريق البغدادي ، وروى عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله الجوهرى ،وعاد إلى طرابلس ونشر العلم بها ،وأخذ عنه يوسف بن عبد الرحمن بن حماد المجريطي في طرابلس لمّا مر بها في رحلته إلى المشرق وعارض أفكار الشيعة العبديين .

---

3 جدوة المقتبس143/1.

4 ابن شكوال، الصلة ص.100

5 رياض النفوس 463/1.

1 معجم البلدان،217/1.

2 أعلام ليبيا /الزاوي،ص425.

10- أحمد بن عبدالله بن صالح العجلى بكسر العين وسكون الحيم ولد بالكوفة سنة 182هـ ، تعلم ببغداد تم سافر إلى طرابلس في عهد المأمون أثناء فتنة خلق القرآن . كان عالماً بالحديث سمع منه خلق كثير. وهو ثقه روى عنه البخاري [3] وأختار طرابلس مقراً له ، لبعدها عن بغداد موقع الفتنة وتفرغ العجلي للتدريس والعبادة والتأليف . ومن أشهر كتبه كتاب التاريخ الذي يذكر أحيانا كتاب الجرح والتعديل .

11- محمد البرقي [4] هو محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن أبي زرعة ، البرقي ، نسبة إلى برقة ، كان فقيهاً ، عالماً، سكن مصر، وبيته فيها بيت علم مشهور، له تآليف كثيرة ، منها : مؤلَّف في مختصر ابن عبد الحكم ، وكتاب في التاريخ ، وآخر في الطبقات ، كتابات في رجال الموطأ ، وفي غريبه ، توفي منتصف القرن الثالث الهجرى (249هـ) [1] .

12- ابن زكرُون : هو علي بن أحمد بن زكريا بن الخطيب زكرون ، الطرابلسي ، الهاشمي فقيه محدث ، ناسك ، زاهد ، أخذ العلم عن أبي عبدالله الجيزي ، وابن المنذر وابن شعبان ، وابن الأعرابي ، وابن الحارود ، وغيرها ، ومن تلاميذه أبو الحسن القابسي ، وأبو علي الحسن ، قاضي طرابلس الغرب ، وعبدوس الطليطلي ، والوليد بن بكر الأندلسي ، وسواهم من العلماء .

المبحث السابع:- دور علماء المالكية في ازدهار الحياة العلمية في ليبيا من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري .

من المعلوم أن اللسان البربري هو السائد في أفريقية وبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي . وعندما وطئت أقدام المسلمين أفريقية سرعان ما عانق أهلها الإسلام وأقبلوا على تعلم اللغة العربية ويعلل غوستاف لوبون ذلك الثلاثة أسباب هي :-

---

3 تهذيب الكمال : لابن حجر للحافظ المزي تحقيق شاو عواد، (مؤسسة الرسالة ، بيروت) 10915.

4 ينظر : الطاهر أحمد الزاوي أعلام ليبيا، (ط:1، مكتبة الفرجاني ، طرابلس) صـ 149-150 ، نظر الطيب الشريف ، علماء ليبيا مجلة كلية الدعوة (عدد 17) – صـ 506

1 ينظر : النشاط الثقافي في ليبيا : 136، ليبيا للطاهر الزاوي :282.

أولاً: عدم اقتراف المسلمين الفاتحين المظالم في حق السكان الأصليين وإساءة معاملتهم وأكراههم علي اعتناق الدين الإسلامي بالقوة ولو فعلوا ذلك لتألبت عليهم الشعوب التي لم تخضع لهم بعد وأصابهم ما أصاب الصليبين عندما احتلوا الشام.

ثانياً: التسامح والحلم الذى أمتاز به المسلمين الفاتحين تجاه تلك الأمم . مما جعل الشعوب المفتوحة تقبل على اعتناق الإسلام وتعلم لغة الدين الجديد.

ثالثاً: بساطة التعاليم الإسلامية وملاءمتها لجميع طبقات الناس بما فيه البسطاء [2].

وأما المستشرق، سكوت فيرجع ذلك إلى أن دعاة الإسلام أتو رسل آمل ورجاء، لتحرير الشعوب التي كانت تعاني من العبودية والرق في ظل المسيحية، فالإسلام يخاطب الضعفاء والأرقاء ويزيل الحواجز الطبقية بين الناس، فهم سواسية أمام الله ((إن الدين الإسلامي يخاطب حتى العبيد والأميين.. أنه يلغي أي وساطة بين العبد والرب، وإن الرجل العادي الذي عجز عن فهم نظرية التثليث وجد سهلا أن يفهم عقيدة التوحيد الفطرية)[1]

وأن أنتشار الدين الإسلامي في ليبيا وشمال أفريقية أيضا سريعا للتشابه الاجتماعي بين العرب والبربر في العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وهو ما يمكن تأكيده بوصف موسى بن نصير للخليفة الوليد سليمان بن عبدالملك وهو مانصه ((هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب)) لقاء ونجدة وصبرا، وفروسية، وسماحة وبادية، كذلك بساطة الدين الإسلامي وخلوه من التعقيدات الموجودة في الديانات الاخرى، مما جعل سكان أفريقية يقبلون بسرعة، والمساواه بين المسلمين في الحقوق والواجبات[2]

2 غوستاف لويون ، حضارة العرب . ترجمة عادل زعتبر (ط4، 1964م) صـ 605.

1 نقلا عن أحمد مختار عمر ،النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي ،منشورات الجامعة الليبية (دار الكتاب ،بيروت ،1971م)ص50-51.

2 شكري فيصل ،المجتمعات الاسلامية في القرون الأولى (بيروت،دار العلم ،1966م)ص184-185.

ولما كانت اللغة العربية الوسيلة لفهم القرآن والعقيدة الإسلامية أقبل أهالي أفريقية على تعلم اللغة العربية من أصحابها في المساجد التي نشرها الفاتحون المسلمون في المناطق المفتوحة، كما أن اللغة العربية عوضت البربر عن لغتهم غير المكتوبة ، وصارت وسيلة التفاهم والتخاطب بينهم وتدوين أفكارهم وتاريخهم ولم ينته القرن الثالث الهجري حتى صارت معظم مناطق ليبيا معربة يقول شكري فيصل ((فقد كانت اللغة العربية تجول جولتها باسم الدين وباسم اللغة المقدسة ،وكانت تكسب هذه الجولة في غير عناء كبير ،يساعدها على ذلك أن ليس وراء هذه اللهجات البربرية حاضر ثقافي بعيد ينقحها بالحياة ويمدها بالعزة)[1]
كذلك كان لجهود البعثة العلمية التي أرسلها الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في نهاية القرن الأول الهجري دور رئيسا في نشر الإسلام وتعريب منطقة الشمال الأفريقي.

ولكن انتشار اللغة العربية تأخر قليلاً عن انتشار الإسلام، فاللسان العربي لم يعم ليبيا تماما إلا بعد هجرة قبائل بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الهجري التي امتزجت بسكان البلاد الأصليين من البربر وتصاهرت معهم على الرغم مالحق بليبيا وأفريقية من خراب على يد الهجرات الهلالية، لم تشهد له مثيل من قبل، حيث لحق الدمار بالزراعة والعمران وموارد المياه والتجارة والمواصلات والأمن والثقافة، يقول ابن خلدون ((وأما برقة فدرست وضربت أمصارها وانقرض أمرها وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت داراً للواته وهوارة))[2]

أما عن افريقية بما فيها طرابلس فيقول ابن خلدون ((وأما افريقية كلها إلى طرابلس فسائط فيح كانت ديارا لنفزاوة وبني يفرن ونفوسة ومن لايحصى من البربر، وكانت قاعدتها القيروان، وهي لهذا العهد مجالات للعرب من سليم، وبنو يفرن وهوارة مغلوبون تحت ايديهم وقد تبدوا معهم ونسوا رطانة الأعاجم وتكلموا بلغات العرب، وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم[1].

---

1 شكري فيصل ،المجتمعات الاسلامية في القرون الاولى(بيروت ،دار العلم ،1966م)ص184-185.

2 ابن خلدون ،العبر،ج6،ص72.

1 على مصطفي المصراتي ،اعلام من طرابلس ،(ط1،مصراتة ،دار الجماهيرية ،1985م)ص30.

مما شك فيه أن الأعراب سببوا انتكاسة حضارية ببرقة وطرابلس عاق تقدمها عدة قرون ، ولكن الجانب المضيء لهذه الهجرة تغلب اللسان العربي على غيرة ولولاها لما كانت ليبيا المعاصرة عربية الوجه والقلب واللسان والسلوك.

وقد شهد القرنين الخامس والسادس الهجريين نبوغ عدد من العلماء منهم الأديب والعالم أبو الحسن بن المنمر (348هـ-432هـ) الذي سافر إلى بلاد المشرق وأقام بمكة المكرمة والتقى بالشاعر البغدادي أحمد بن زريق وسمع منه، كما درس على أبي زيد القيرواني الفقه واللغة وعلى أبي القاسم عبد الرحمن الجوهري وبذلك جمع ابن المنمر الدعائم الثلاث لعلم: الفقة والأدب واللغة ،عاد ابن المنمر إلى طرابلس واشتغل بالتدريس والتأليف من أشهر مؤلفاته كتابه ((الكافي)) درسه علماء المشارقة والمغاربة ،تصدى ابن المنمر للمذهب الشيعي بطرابلس ودافع عن مذهب أهل السنة ،وكان سببا في اضطهاده ومنعه من التدريس ونفيه خارج طرابلس إلى قرية غنيمة التي ظل بها حتى وفاته.

ومن علماء القرن الخامس الشيخ أبوعبدالله الأباضي والفقيه المالكي عمر بن عبد العزيز وعبيد بن يوسف الطرابلسي[2].

ومن علماء القرن السادس الهجري الحسن بن فراج الطرابلسي ت(521) ألف كتابا في تاريخ طرابلس وأبو الحسن علي بن عبدالله بن مخلوف (ت533) له مصنف في تاريخ طرابلس وعبدالرحمن بن مكي بن عبدالرحمن الطرابلسي(ت651 هـ)[3]

وأيضا الفقيه أبو يحي زكريا بن إبراهيم الباروني الأباضى . تولى الحكم بجبل نفوسة بمبايعة علماء ومشائخ وأهل الراي بالجبل [1]في القرن السادس الهجري فقد كان عالما بعلوم الشرع، مهتماً يقول الشعر ، ومن شعاره :-

2 الانصاري /نفحات النسرين والريحان فيمن بطرابلس من الاعيان ،تحقيق على مصطفي المصراتي ،(ج1،بيروت ،المكتب البخاري ،1963م)ص76.

3 احسان عباس ،تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري (بيروت ،دار صادر ،1967م)ص217.

وما المرء في دنياه إلاكناعس أحاطت به الامواج في لجج الحر.

ترى عند ذكر الموت للتنفس نفرة وتأبى الطباع الانتقال عن الضير.

كذئب دهي خرفان َحي فأرزت وغاب فعادت لا قتطاف المنور[2].

وليبيا كانت دائما تابعة للقيروان ومرتبطة بها حضارياً وثقافياً، فأغلب علماء ليبيا وبجاية هاجروا إلى تونس وسمعوا من علمائها واستقروا باعتبارها العاصمة السياسية لأفريقية كما أن الحكام غالباً ما يهتمون بالعاصمة دون سواها من المدن. ولهذا نجد كثير من أبناء برقة وطرابلس استقروا بحاضرة افريقية وتولوا كثير من المناصب كقاضي الجماعة في تونس. وشئون الحجاية. وقد شهدت طرابلس ازدهار ثقافيا في مختلف العلوم خلال العهد الحفصي. ومن اسباب هذا الانتعاش الثقافي ظهور المدارس النظامية.. فقد كان التعليم في بداية قيام الدولة الإسلامية مرتبطا بالمسجد وعندما تطور التعليم وكبرت مسئوليات المراكز التعليمية. صارت مستقلة عن المسجد مع أنها مرتبطة به وعرف استقلال المدارس في عهد المأمون ببغداد، والعهد الفاطمي بالقاهرة عندما تحول الأزهر إلى جامعة مستقلة لتدريس المذهب الشيعي. وتلا ذلك جهود المدارس في كل البقاع الإسلامية.

وأقدم المدارس التي شهدتها طرابلس المدرسة المستنصرية التي اسسها عبدالحميد بن ابي لدنيا وهو من علماء طرابلس ورجالاتها المشهورين سنة (655- 658هـ) قال عنها التيجاني((وكانت من أحسن المدارس وضعا وأطرفها صنعا)) [3] .

وفي القرنين السابع والثامن الهجريين شهدت طرابلس التي خضعت للدولة الحفصية ظهور عدد من العلماء في مختلف فنون العلم سواء الدينية منها أو اللغوية والأدبية ومن هؤلاء العلماء :-

---

1 علي يحي معمر،الاباضية في موكب التاريخ ،(مصر ، مكنية وهبه ، 1964م) صـــ 197

2 احمد مختار عمر ، النشاط الثقافي في ليبيا ، (بيروت ، دار الكتب ، 1971م) صـــ 1479.

3 التيجاني – رحلة التجاني . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، صـــ 251.

1- ابن أبي الدنيا الصدفي (606هـ / 684هـ / 121- 1285م). عبد الحميد بن أبى البركات بن الدنيا الصدفي الطرابلسي المحدث الفقيه الأصولي ولد بمدينة طرابلس الغرب في النصف من شعبان سنة 606هـــ ،حفظ القران والحديث في مساجد طرابلس ، ثم رحل سنة 624هـ / 1227 هـ إلى الأزهر ومنه توجه لأداء فريضة الحج وبعدها عاد ثانية إلى الأزهر وجلس للتعليم والسماع من علمائه أمثال عبد الكريم بن عطا الله الأزهر الصوفي ، وشيخ القراء عبدالحميد الصفراوي ، وقاصي الجماعة جمال الدين بن عبدالله بن قائد الربعي . كما أخد عن عز الدين بن عبدالسلام [1]

ودرس ابن ابي الدنيا أصول الفقه. واعتمد كثيرا على الاستنباط والقياس، وكان يدافع عن العقل ويؤمن بالاجتهاد وحرية التفكير. ثم عاد إلى طرابلس وجلس للتدريس حيث أخذ عن جماعة منهم أبو يحي بن أبى بكر برنبق الهواري والأستاذ الحافظ عبد العزيز بن عبد العظيم قرأ عليه كتاب " الإرشاد والبرهان " لإمام الحرمين وجملة من كتاب ((المستصفى)) للغزالي وغيرها.[2]

سافر إلى تونس في عهد الأمير الحفصي أبي زكريا يحي الأول ثم عاد إلى طرابلس وداع صيته العلمي وكلفة الأمير زكريا بتأسيس المدرسة المستنصرية في مدنية طرابلس سنة (655- 658هـــ) .

وفي عهد الأمير المستنصر استدعاه للإقامة في تونس وولاة الخطط الرفيعة من قضاء الجماعة، وقضاء الأنكحة، والخطابة بالجامع الأعظم [3].

أستقل بتدريس الفقه وأصول الدين على طريقة أهل القيروان منكراً طريقة الرازي وتلاميذه التي تعتمد المنطق أداة للتحليل وإلى جانب الفقه فلة اهتمامات بالشعر ومن أشعارة.

طرق السلامة والفلاح قناعة ولزوم بيت التوحش مؤنس.

---

1 علي يحيىمعمر . الاباضيةفي موكب التاريخ ، صـــ 58- 61.

2 إحسان عباس ، تاريخ ليبيا ، صـــ 220، التجاني ، الرحلة ، صـــ 257.

3 الأنصاري ، المنهل العرب في تاريخ طرابلس العرب (طرابلس ، مكتبة الفرجانى ، د.ت صـــ 151) .

يكفيه أنسأن يكون أنيسه آي القرآن ونورة في الحندسي[4]

وله قصيدة يستعطف فيها الخليفة المستنصر الحفصي عندما تغير عليه مطلعها.

أمولاى مازلتم تنيلون عبدكم ضروبا من النعماء جلت عنه المثل.

ولم يبق الا العفو وهو أجل ما ينال فأكمل لي به منحة الفضل.

وله من المؤلفات.

1- الإيضاح والبيان في العمل بالظن المعتبر شرعا بالسنة الصحيحة والقرآن.
2- جلاء الالتباس والرد على نفاة القياس.
3- العقيدة الدينية وشرحها.
4- كتاب من نقي من الصالحين .
5- مذكرة الفؤاد في الحض على الجهاد[1]

(2) ابن معمر الهوارى ((609هـ - 683هـ / 1212م – 1284م).

أبو علي محمد بن موسى بن معمر الهوارى خطيباً وقفهيا وأدبيا [2] تعلم القران والحديث بمساجد طرابلس ثم رحل إلى تونس رفقة أخيه القاضي أبي موسى إلى المهدية حيث جلس بحلقاتها وأخذ عن أشهر علمائها ((ابى زكريا البرقى)) عاد الى طرابلس وتولى القضاء والإفتاء بها .ولكن ابن معمر لازال متعطشا للعلم فظل ملازما لشيخة ملازمة الظل وعندما تعرض أبو زكريا البرقي للاضطهاد والتعذيب من قبل الأمير الحفصي شاركه في ذلك ، ولما أطلق سراح الشيخ وأعيد الى بلادة ظل ابن معمر بالعاصمة ، وبدات مرحلة جديدة من حياتة حيث بدا يناظر العلماء والفقهاء ويجالس العظماء والأمراء ، وكان ابن معمر موسوعة علمية بارعا في الخطابة والجدل قادرا على اقناع الخصم فتحولت الانظار نحوه وكثر المعجبون به . فولاة الخليفة المستنصر القضاء ، وكذلك خطة العلامة الكبرى تم نقلة للأشراف على خزانة الكتب فأشرف على الخزانة العلمية. وهي مهمة

---

4 احسان عباس ، تاريخ ليبيا ـصـ 220.

1 الانصاري ، نفحات النسرين ، صـ 91 ، احسان عباس ، تاريخ ليبيا ، 220.

2 الأنصاري ، المصدر السايق ،صـ 92 ، التجاني ، الرحلة ، صـ 272-274

كبيرة لا يستطيع القيام بها الا عالم واسع الاطلاع وباحث مدقق . مما يدل على مكانة هذه الوظيفة لقد شغلها الفيلسوف الإسلامي ابن مسكونة في المشرق حيث أشرف على خزانة أل بويه . وقد قام ابن معمر بذلك خير قيام حيث.

تظم حوالى ثلاثين ألف مجلد. ولكن لم يستمر الود بينة وبين الأمير فسرعان ما تغير عليه فنفاه في سنة 667هـ / 1268م إلى المهدية وظل بها عاما كاملا ثم رضي عنه الخليفة المستنصر وأمر بالإفراج عنه في أيام الأضحى المبارك سنة 688/ 1264م.

وبعد وفاة الخليفة المستنصر سنة 675هـ / 1276 م تولى الحكم أبنه الواثق الذى أمر بعودة ابن معمر إلى خزانة الكتب وإصلاحها فوجدها ممزقة ومبعثرة ومهملة ضاع منها حوالى ستة الاف مجلد. وبدأ ابن معمر في إصلاحها وتنظيمها. ولكن كان ابن معمر سليط اللسان كثير النقد بينشر معائب الناس 1 فسرعان ما تغير عليه رئيس الدولة أبو الحسن ابن أبي مروان من أجل بعض القضايا التي كان معمر يصدر فيها أحكامة فأمر باعتقاله في دار الأشراف .

وفي المعتقل سيطرت عليه أحاسيس الغربة والنفي والأذى فعير عن ذلك شعرا حيث جلس ذات مرة مع جماعة من الأدباء فانشد صديق منهم بيتين لأبن حبيب سليمان بن خلف الباجي :-

ومض زمن المكارم والكرام سقاه الله من صوت الغمام

وكان البر فعلا دون قول فصار البر نطقا بالكلام

فرأى ابن معمر أن هذه النعمة التي تحمل طابع الحسرة والتأسف ناقصة فأنشد مترجلا ومبالغا في التصوبر أكثر من ابن ناجى [2]

وزال النطق حتى ليس تلفى فتى بيسخو بمرجوع السلام.

وزاد الامـــر حتى ليس الاّ سخـــى بـــالأذيـــة والـســـــــــلام

ولابن معمر عديد من القصائد التي تنم عن فصاحة لسانه وقوة ملكة الشعر عنده.

توفي في تونس سنة 683 هـ / 1284م.

(3) ابن عبيد (639هـ / /1240مـ)

الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبدالعظيم المعروف بابن عبيد ، ولد في طرابلس سنة 639هـ [3] من أشهر شيوخه الإمام أبي موسى بن عمران الهوارى الطرابلسي قاضى الجماعة

2 الطاهر الزواوي ، أعلام ليبيا ، ص 39 ، د. عبداللطيف محمد البرغوثي ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص 496.

بتونس – حيث قرأ عليه كتاب التفريع لإبن الجلاب والتقى بأبي محمد عبد الوهاب بن محمد الهنزوتى فدرس عليه كتاب (المحصول) لإبن العربي وجملة من كتاب (المستصفى) للغزالي ، وكذلك من الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبى البركات بن أبى الدينا سمع منه كتاب (الإرشاد) لأبى المعالى وبعض كتاب (البرهان) ، والفقيه أبو الحسن محمد بن إبراهيم الأندلسي السبطي ، والفقيه أبو محمد عبدالله بن عبد الدائم الغمارى الذي مر بطرابلس من المغرب قاصدا المشرق أقام بطرابلس فترة طويلة فقرأ عليه كتابه الذى ألفه في الفرائض ، وكتاب (الكافي) لابن المنمر ، والفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عيسي الغمارى قاضى طرابلس قرأ عليه جملة من المعالم الفقهية لابن الخطيب والفقيه أبو العباس الأعجمي الذي جاء من المشرق قاصدا المغرب فسمع منه بعض المعالم الفقهيه لأبن الخطيب ، والقاضى أبو محمد عبد آله بن إبراهيم بن أبى مسلم.

قرأ عليه نصف صحيح البخاري ، وعرف ابن عبيد بالإمام الحافظ لأنه نال درجة من الحفظ في الحديث وعلومه وفنونه تضاهى مرتبة الحفاظ الآخرين بالمشرق أمثال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني.

والإمام الحافظ جلال الدين السيوطي قال عنه التيجاني : (والقائم برسم العلم في هذه البلدة في وقتنا هذا شيخنا الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز عبدالعظيم ... وهو رجل ليس من عمرو ولا زيد ، ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى ، وحاز ما حاز من العلوم الأصولية والفرعية الغاية والمنتهى حضرت درسه بمسجد مجاور داره فرأيت رجلا متضلعا في العلم ذاكراً بالمذهب ....) ،[1]ابن عبيد شيخ طرابلس في عصره جمع بين المعقول والمنقول ، بين الفقه والأصول حفظ أراء جامعة القروايين الحافظة لمذهب مالك بالشمال الأفريقي فنقل آراءها بكل دقة وأمانة ،وعلق عليها كما تأثر بالنهضة الفكرية التي شهدها المشرق في التصوف والفلسفة الإسلامية

---

3 هناك خلاف في مولده ،يذكر المؤرخ الطرابلسي ابن غليون أن مولد أبى فارس عند العزيز هو سنه 636 هـ / 1238م . أما التيجاني صاحب الرحلة يذكر أن مولده سنة 634هـ / 1241م ، وهو خلاف غير ذو أهمية . ولكن الراجح هو رأى الرحالة المغربي لا نه كان معاصرا للمترجم له ولأنه تقل تاريخ الميلاد مشاقهة من بن عبدالعزيز نفسه حيث قال " وأخبروني أن مولده بطرابلس عام تسع وثلاثين وستمائة" انظر رحلة التيجاني – تقديم حسن حسنى عبدالوهاب ، ص 255.

1 التيجاني ، الرحلة ، تقديم حسن حسني عبدالوهاب ، ص 254.

أيام الغزالي ،على أن أفكار الغزالي لاقت معارضة في المغرب، خاصة من ابن رشد ومع هذا فقد ظل يدود عنها اتباعه ،ففي طرابلس مثلا كان ابن فارس بن عبدالعزيز مغرما كجده بكتب الغزالي ،خاصة الأحياء والمستصفى ،ولعل ابن فارس بن عبدالعزيز وجد كتب الغزالي في مكتبة جده فأُغرم بها وعكف على دراستها ،مما تجدر الإشارة إليه أن ابن فارس بن عبدالعزيز لم يخرج من طرابلس إلاّمرة واحدة للحج سنة 703هـ/1303م ، وأن كل ما تعلمه ثم بطرابلس.

4- ابن معمر الهواري (ت680هـ)

الفقيه القاضي أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الهواري أخو أبي علي محمد بن موسي الذي سبق الإشارة إليه ،من أشهر شيوخه محمد ابن أبي الدنيا ، عرف أبو موسى الهواري بالورع والتمسك بالدين والعدل فولاه الأمير الحفصى قضاء طرابلس ذكر التيجاني ((أنه ولي القضاء نيفا وسبعة وثلاثين سنة))[1] (ثم وصله الأمر بالطلوع إلى تونس في عام ثمانية وخمسين [وستمائة] فتوجه إليها وولى قضاءها ما نيف على عشرين عاما))[2] فظل بها إلى وفاته سنة 680هـ ،ومن أشهر تلاميذه أبو فارس عبدالعزيز المشهور بابن عبيد حيث أخبر أنه قرأ عليه كتاب ((التفريع)) لابن الجلاب كما درس أبو موسى لطلبته ((تهذيب المدونة)) وأشهر بأنه كان ذا أخلاق جميلة ،وسيرة حميدة ومعارف جليلة[3].

5- الهنزوتي (ت763هـ)

أبو محمد عبدالوهاب بن محمد الهنزوتي[4] ،من كبار العلماء أخذ عن مشائخ عصره من بينهم أبو موسى ابن معمر الهواري وكان يدرس طلبته كتاب (المحصول) لإبن العربي و(المستصفى) للغزالي .

6- التاجوري (635-708هـ).

---

1 التيجاني ،الرحلة ،ص.256

2 نفس المصدر والصفحة.

3 الانصاري /نفحات السرين ،ص96-97،اخحسان عباس ،تاريخ ليبيا ،ص221.

4 الانصاري ،المصدر السابق ،ص97.

أحمد بن عبدالسلام الأموى التاجوري – أصله من تاجوراء انتقل إلي طرابلس وسكن بها كان حافظا للآداب والتواريخ حسن الخط، زار تونس وتعرف على التيجاني ثم عاد إلى طرابلس فلما قدم إليها التيجاني لازمه ونقل عنه التيجاني كثيرا من الأخبار توفي سنة 708هـ أثناء وجود التيجاني بطرابلس[5].

7- المصراتي(646هـ)

أبو محمد عبدالسلام بن عبد الغالب المصراتي اشتهر بالفقه والفلسفة الإسلامية والتصوف النظري والعلمي ،عالما بالقراءات السبع والحديث ، هاجر إلى تونس وجلس للتعليم بمدارسها ومساجدها ومن اشهر شيوخه الأستاذ يوسف الدهماني ، وأبي زكريا محمد البرقي الذي درس عليه القراءات السبع والحديث والفقه، استفاد منه عدد كبير من الطلبة صاروا فيما بعد شيوخا ومؤلفين من بينهم أبي زيد عبدالرحمن الأنصاري .

من مؤلفاته:-

1- الوجيز في الفقه المالكي.
2- شرح أسماء الله الحسنى.
3- الزهر الأنيق في قصة يوسف الصديق.

توفي بتونس سنة 646 هـ ودفن بالقيروان، وإلى جانب هؤلاء فقد عرفت طرابلس كثير من العلماء لهم دور في حمل مشعل الثقافة في طرابلس في القرنين السابع والثامن الهجريين من أمثال أبو موسى عيسى الطرمسي (ت720)[1] صاحب مدرسة بالجبل بين جادو و طرميسة ، الشيخ يوسف بن علي الجعراني المسلاتي من علماء القرن الثامن ،الذي له عدد من التأليف مثل ((شرح القرطبية)) و((شرح الأجرومية))،وأبو ساكن عامر الشماخي الذي عاش في النصف الأول من القرن الثامن الهجري له كتاب (الإيضاح)) في المذهب الإباضي قال عنه على يحي معمر:((أما أنا فإن الإيضاح أحب الكتب إلى نفسي ،وأثرها عندي بعد كتاب الله وصحاح الحديث الشريف))[2]

---

5 التيجاني،الرحلة ص 308.

1 أحمد عمر المختار النشاط الثقافي في ليبيا، ص 149.

2 علي يحي معمر الإباضية في موكب التاريخ ص 108/107.

المبحث الثامن : علماء مرو بليبيا وأثرهم في ترسيخ المذهب المالكي:

1. محمد الأندلسي : "هو محمد بن وضاح بن بزيغ ، الأندلسي ، رحل من الأندلس إلى المشرق ، عام 218هـ فمر بطرابلس ، وأفاد من عالمها إبراهيم بن حسان الطرابلسي " [3].
2. ابن فطبس : "هو محمد بن فطيس بن واصل ،الغافقي ، أندلسي الأصل ، من أهل إلبيرة غربي غرناطة ، رحل إلى المشرق عام 257هـ ، ثم عاد إلى إلبيرة ، أخذ العلم عن بعض علماء ليبيا ، في مروره بها أثناء رحلته " [4].
3. ابن عيسي البياني [5]: "هو محمد بن عيسى البياني ، عالم أندلسي ، مر بليبيا أثناء رحلته +إلى المشرق فأخذ عنه العلم بعض الطلاب الليبيين ، منهم : أحمد بن الحسين بن محمد الطرابلسي ، بطرابلس عام 332هـ ، وحماد بن شقران ، ببرقة ، عام 338هـ وحدث عنه" [6]
4. البطليوسي[1] : "هو هاشم بن يحيى بن حجاج ، البطليوسي ، الأندلسي ، قام برحلة إلى المشرق فمر بطرابلس ، وسمع من عالمها أبي بكر بن دحمان المصيصي ، طرابلسي ، عام 338 هـ" [2].
5. **أبو محمد الغماري[3] : "**هو أبو محمد عبدالله بن الكريم ، الغماري ، مغربي الأصل ، فقيه محدث، أديب ،شاعر ، مر بطرابلس قاصداً المشرق ، عام 654هـ ، فطاب له المقام بها ، وطالت إقامته

---

3 ينظر : أعلام ليبيا :5،الطيب الشريف ، علماء ليبيا – مجلة كلية الدعوة (عدد 17) لاص 516.

4 ينظر : السابق :.39

5 البياني : لعله من النسبة إلى (بيان) بباء موحدة ، وياء مثناة مشددة : إقليم من أعمال بطليوس ، أو من النسبة إلى (بيانة) با لأندلس أيضا بالقرب من قرطبة ، ينظر معجم البلدان 1: 518.

6 ينظر : أعلام ليبيا :31.

1 البطليوسي : نسبة إلى بطليوس (بفتحتين وسكون اللام ، وياء مضمومة) ، مدينة كبيرة بالأندلس تقع غربي قرطبة ، ينظر: معجم البلدان: 1:1447.

2 ينظر : أعلام ليبيا :18. الطيب الشريف ، علماء ليبيا – مجلة كلية الدعوة (عدد 17) لاص 516.

3 الغماري : نسبة إلى غمار ، (بغين معجمة مكسورة ، وميم مفتوحة ، آخره مهملة) ، اسم واد بنجد ، وذو الغمار اسم موضع ، موضع ، ينظر : معجم البلدان : 4:209.

، فدرس عليه طلاب كثيرون ، منهم مثلاً : أبوفارس ابن عبيدة ، العالم المشهور ، وقد أخذ عنه علوما عدة "[4]

6. أبو الحسن البسطي [5] : "هو أبو الحسن محمد بن إبراهيم ، الأندلسي ، البسطي ، مر بطرابلس عائداً من الحج في طريقة إلى الأندلس ، مع منتصف القرن السابع الهجري ، تقريباً كان عالماً عَلَماً ، أديباً ، شاعراً ، كاتباً ، ناقداً، تصدى للتدريس في طرابلس مدة من الزمن ، تتلمذ علية طلاب كثيرون ، منهم ابن عُبيدة ، السابق الذكر "[6].
7. أبو العباس الأعجمي : "أستاذ كبير ، قدم من المشرق ، قاصداً بلاد المغرب ، مر بليبيا عام 663هـ ، ومكث بطرابلس زمناً ، استفاد منه كثير من الطلاب الليبيين ،والزائرين أيضاً ، ومما درّسه من الكتب : كتاب ((المعالم))، لابن الخطيب"[7] .
8. أبو العباس الغماري : "هو أبو العباس أحمد بن عيسي الغماري ، شيخ تونِسيّ ، جليل القدر ، عالم فقيه ، أديب ، تولى قضاء طرابلس ، وتصدر مجالس الدرس ، فاستفاد منه طلاب كثيرون ، كان موجوداً 707هـ "[8] .
9. أبو الحسين الأندلسي : "هو الفقيه أبو الحسين محمد بن إبراهيم ، الأندلسي ، مر على طرابلس قافلاً من الحج ، فقرأ عليه الطلبة بعض تآليفه في العربية ، وسمعوا شيئاً من نظمه ، ورووا عنه ((المُذَهَّبة)) لابن المناصف" [9] .

---

4 ينظر : أعلام من طرابلس : 115.

5 البسطي : نسبة إلى بطة (بباء مفتوحة ، وسين ساكنة ، وطاء) ، مدينة بالأندلس ، ينظر : معجم البلدان : 1: 422.

6 ينظر : أعلام من طرابلس : 159. الطيب الشريف ، علماء ليبيا – مجلة كلية الدعوة (عدد 17) لاص 517.

7 ينظر : المراجع السابق :112.

8 ينظر السابق :110-111.

9 ينظر السابق : النشاط الثقافي في ليبيا : 117. الطيب الشريف ، علماء ليبيا – مجلة كلية الدعوة (عدد 17) لاص 518.

10. أبو عبدالله القابسي [1]: "هو أبو عبدالله بن إبراهيم ، أبومسلم القابسي ، نسبة إلى قابس ، من بلاد تونس ، فقيه ، محدث ، عالم ، تولى قضاء طرابلس ،وقد سبقته شهرته العلمية ، وخبرته الواسعة بالحياة والناس ، وفي طرابلس لم يقتصر وظيفة القضاء ، بل تصدر مجالس الدرس ، والمناظرة ، فأفاد واسعة ، "[2]

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث يمكن استخلاص النتائج التالية:

1- إن إقليم طرابلس والمناطق المجاورة له، مرتبط بالقيروان ،وإقليم برقه مرتبط بمصر، ولهذا نجد أغلب العلماء يتجهون إلى مصر وبلاد المشرق عكس أهل طرابلس وجهتهم القيروان.

2- طلبة العلم بليبيا ذهبوا إلى الإمام مالك بالمدينة وأخذوا عنه أسوة بالأمصار الأخرى ،ولكن المصادر شحيحة في ذكر كل من أخذ عن مالك ،وعلماء المشرق.

3- ليبيا مثلها مثل البلاد الإفريقية انتشرت بها المنارات العلمية حيث ورد في المصادر أن سحنون عند عودته من ابن القاسم 191ه مكث فترة في إجدابية فسمع منه أهلها فكان يمشي بالنهار فيلقي المسائل فإذا جاء الليل قام للصلاة ،وسمع منه أهل إجدابية المدونة، وثم استقر بطرابلس فترة وأسمع اهلها أيضا المدونة وكان يفتخر ببعض تلاميذه في ليبيا، فقد سئل عن الصالحين فأجاب :"رأيت رجالا بطرابلس، ما الفضيل ابن عياض بأفضل منهم، وصار للإمام سحنون تلاميذ يدرسون المدونة فالعالم محمد بن عيسى بن رفاعة من أهل رية سمع المدونة في طرابلس سنة 289ه من إبراهيم بن داوود بن رقيق عن سحنون.

4- و مما يدل على أن ليبيا بها مراكز علمية لا تقل عن المراكز الأخرى في المغرب والمشرق ان العالم أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد المولود سنة 219ه تعلم في إفريقيه بالقيروان وتونس وطرابلس فلم يرحل الى المشرق بل تلقى العلم على سحنون بالقيروان وأبي سنان زيد بن سنان وأبي الحسن الكوفي بطرابلس.

---

1 القابسي : نسبة إلى قاربس (بفتح القاف ، وكسر الباء الموحدة) ، مدينة مشهورة بتونس ينظر : معجم البلدان :4: 289 وما بعدها.

2 ينظر : أعلام من طرابلس :112. الطيب الشريف ، علماء ليبيا – مجلة كلية الدعوة (عدد 17) ص 519.

5- قول سحنون لتلميذه سلمان بن سالم لما أراد الخروج للحج إنك تقدم طرابلس وقد كان فيها رجال مدنيون ومصريون ثم تقدم مصر وبها الرواة.
6- بعض علماء ليبيا المشهورين لم يرحلوا خارج البلاد لتلقي العلم مثل: العالم أحمد عبدالله الإجدابي سئل :أنى لك هذا العلم ولم ترتحل ؟فقال :اكتسبته من بابي هوارة وزناته يريد أنه استفاد علمه ممن يفد على طرابلس من المشرق والمغرب.
7- العالم على بن زياد الطرابلسي هو أول من أدخل المذهب المالكي الى ليبيا حيث تتفق المصادر على أنه أول من أدخل الموطأ إلى بلاد المغرب وفسر قول مالك ،وأول من ألف كتابا في البيع اسمه: "خير من زنته"
8- تلاميذ علي بن زياد ،خاصة سحنون وأسد بن الفرات ،والبهلول بن راشد هم من ساهموا بنصيب كبير في نشر المذهب المالكي بعده.
9- علماء ليبيا الذين لهم دور في نشر المذهب المالكي كثر على سبيل المثال لا الحصر إضافة إلى ابن زياد على مر العصور عبدالحميد بن أبي الدنيا والشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي من كتبه :"لنامي على شرح الموطأ وغيرهم.

وقد اكتفيت بذكر العلماء الذين لهم دور في نشر المذهب المالكي في القرن الأول حتى القرن الثامن الهجري .

فهرس المصادر والمراجع

1- الحلة السّيراء :لابن الأبار أبوعبدالله محمد القضاعي البلنسي سنة 658هـ،تحقيق: د/ حسين مؤنس ،القاهرة سنة 1963م.
2- طبقات علماء افريقية وتونس :لابن تميم أبو العرب محمد بن أحمد القيرواني المتوفي 333ه ،تحقيق علي الشابي، ونعيم اليافي ،الدار التونسية للنشر سنة 1968م.
3- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشد ،ورقات عن الحضارة التونسية، المطبعة التونسية سنة 1330هـ،المنار بتونس 1966م.
4- طبقات علماء افريقية: لمحمد بن الحارث ،دار الكتاب اللبناني.
5- العبر وديوان المبتدأ والخبر المقدمة لابن خلدون عبدالرحمن ،كتاب التحرير القاهرة 1966م.
6- وفيات الأعيان لابن خلكان لأبو العباس شمس الدين أحمد بن يحي المتوفي سنة 681ه،تحقيق دكتور إحسان عباس ،دار صادر بيروت سنة 1988م

7- معالم الايمان لدباغ أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الانصاري المتوفي سنة 696ه ،تحقيق إبراهيم شيوخ والعتيقة بتونس الخانجي بمصر سنة 1968م.
8- المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني ،تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة بتونس سنة 1967م.
9- تاريخ إفريقية والمغرب ، لرقيق أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم المتوفى في القرن الخامس الهجري ،تحقيق المنحي الكعبي ،مكتبة السفطى بتونس سنة 1968م.
10- تاريخ الفتح العربي في ليبيا لطاهر أحمد الزاوي ،دار الفكر ودار التراث العربي بليبيا سنة 1969م.
11- الحلل السندسية في الأخبار التونسية لابن السراج محمد ابن محمد الأندلسي المتوفي سنة 1149م،تحقيق محمد الحبيب الهبلة ،الدار التونسية سنة 1970م.
12- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى للسلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري دار الكتاب بالمغرب سنة 1954م.
13- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك العياض القاضي أبو الفضل عياض ابن موسى المتوفي سنة 544هـ، تحقيق د.أحمد بكير محمود.
14- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ،لابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد المتوفي سنة 799هـ، تحقيق د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث بالقاهرة سنة 1975م.
15- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي طباعة دار الشعب/مصر.
16- رياض النفوس، للمالكي أبوبكر عبدالله بن أبي عبدالله المتوفي في القرن الخامس الهجري تحقيق د. حسين مؤنس ،مكتبة النهضة المصرية سنة 1951م.
17- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ،دار الكتاب العربي ببيروت.
18- عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب لشيخ محمد النيفر ،تونس سنة 1351م.
19- القيروان عبر عصور ازدهار الضارة الإسلامية في المغرب العربي لجناني الدكتور الحبيب، الدار التونسية للنشر سنة 1968م.
20- مقدمة القراء الكبار على الطبقات والاعصار لذهبي شمس الدين أبوعبدالله المتوفي سنة 748ه، تحقيق محمد سيد جاد الحق/دار الكتب الحديثة بمصر سنة 1969م.
21- البيان المغرب في أختصار أخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي المتوفي في القرن الثامن الهجري ،تحقيق :ج. س. كولان ، و بروفنسال، دار الثقافة ببيروت.

22- العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ، عثمان العكاك /الشركة التونسية للتوزيع مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية سنة 1958م.
23- المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، لنجم الدين الهنتاتي ،من كتب تبر الزمان ،الجمهورية التونسية.
24- النشاط الثقافي في ليبيا نت الفتح الإسلامي حتي بداية العصر التركي ، أحمد مختار عمر ، منشورات الجامعة الليبية .
25- المنهل العذب في تاريخ طرابلس العرب ، أحمد بك النائب الانصاري، (طرابلس ، مكتبة الفرجاني ، درب ط1 ، بيروت ، المكتب التجاري ، 1963م).
- نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان – تحقيق على مصطفي المصراتي – بيروت – المكتب التجاري 1969م.
26-أعلام طرابلس ، على مصطفي المصراتي ، ط1 ، مصراته 1965م.
27-تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتي مطلع القرن التاسع الهجري ، احسان عباس ، بيروت ، دار صادر 1969م.
28-حضارة العرب ، تحقيق عادل زعبتر ، غوستاف لزيون ، ط4 ، القاهرة ، دار رجب للكتب العربية ، 1956م.
29-قادة فتح المغرب العربي ، محمود شئت خطاب ، ط1 ، القاهرة ، دار الفتح للطباعة ، 1966م.